

مجلة
الاندلس
العلمية

الشيخ القاضي شمس الدين بن
شير محمد ١٩٠١ - ١٩٨٥ م،
ومنهجه في التفسير

تأليف
د. حكمت أحمد الحريري
أستاذ مشارك - جامعة عمران

الشيخ القاضي شمس الدين بن شير محمد

١٩٠١ - ١٩٨٥م، ومنهجه في التفسير

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله عز وجل، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وإن أفضل ما صرفت في الأوقات وبذلت من أجله المهج والأنفس الزكيات هو كتاب الله العزيز، إذ هو بمثابة الأرواح للأبدان والنور للأبصار والشفاء من العلل والأسقام، والهادي إلى الصراط المستقيم والقائد إلى جنات النعيم، وهو مبعث الإيمان والسبب لنيل رضا الكريم المنان والمؤدي إلى الزيادة على نعيم الفردوس الأعلى والجنان، ألا وهو لذة النظر إلى وجه الرب الرحيم الرحمن.

حيث قال سبحانه ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ [الشورى: ٢٣].

وقال سبحانه ﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد﴾ [فصلت: ٤٤].

وقال ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾ [المائدة: ١٦].

وقال ﴿وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة﴾ [القيامة].
 ألا وإن علم التفسير أشرف العلوم وأجلها وأسناها تفسير الكتاب الكريم الذي أنزله الله تعالى هدى وشفاء، وأوجب سبحانه وتعالى على عباده أن يتلوه ويتدبروه، ويستمعوا له وينصتوا إليه وينقادوا لأحكامه ويأتمروا بأوامره وينتهوا عن نواهيه، فقال تعالى ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾، وقال ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ [النساء].

وقال ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾.
 إن العلوم الشرعية التي صنف فيها علماء الإسلام الكتب والأسفار انبثقت من تفسير كتاب الله عز وجل، فالتفسير أساس للمشتغل بعلوم الحديث والسنة النبوية، ولفقه وأصوله، وللنحو والصرف،

وعلم البلاغة والبيان، والتاريخ والفرق والأديان، وأسباب قيام الدول وارتقاءها وأسباب هلاكها وفنائها، إلى غير ذلك من العلوم التي تؤدي إلى الفهم السليم وترشد إلى الصراط المستقيم، وتكون سبب السعادة في الدنيا والآخرة، كل ذلك إنما يستمد من القرآن الكريم الذي لا ينفد معينه ولا تنقضي عجائبه ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً﴾ [الكهف].

ولذا فإن المشتغل بتفسير القرآن الكريم وفق المنهج والشرع الذي شرعه الله في كتابه وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام إنما هو كالحلحلة لا تقع إلا على كل طيب نافع ومفيد ولا تنتج إلا ما هو شفاء للناس.

ولما كان أمر القرآن الكريم وتفسيره بهذه المثابة فقد كثر العلماء الذين وفقهم الله لخدمة هذا الكتاب الكريم أفنوا فيه الأعمار وبذلوا من أجله الغالي والنفيس، وكثرت مصنفاتهم ما بين مقل ومكثر، وتنوعت أساليبهم ومنهجهم شكر الله سعيهم وأجزل لهم الأجر والثواب.

ومن هؤلاء العلماء الذي صنفوا في التفسير العلامة القاضي شمس الدين بن شير محمد عليه رحمة الله، وسيأتي الحديث عن ترجمة المصنف ومنهجه في هذا التفسير.

قصتي مع هذا الكتاب

بعد فراغي من امتحانات الشهادة العالمية (الماجستير) سنة ١٤٠٤ هـ في جامعة العلوم الشرعية بمدينة راولبندي بباكستان، جلست مع رئيس الجامعة الشيخ الفاضل الحافظ محمد إسحاق، وصرنا نتجاذب أطراف الحديث حول جهود العلماء في باكستان وشبه القارة الهندية في خدمة كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، ودور المدارس الدينية في شبه القارة الهندية، ومشاهير العلماء فذكر من العلماء الذين كانت لهم جهود مشكورة في التصنيف والتدريس في الحديث والتفسير القاضي شمس الدين بن شير محمد، ولفت انتباهي كلامه عن ميزة التفسير الذي صنفه، واهتمامه بالربط والتناسب بين السور والآيات في التفسير الموسوم بـ "أنوار التبيان في أسرار القرآن" وأطلعني على الكتاب والتمست منه الحصول على نسخة منه فبادر أكرمه الله وأهداني نسخة من الكتاب المذكور، ولما تصفحت النسخة - على وجه السرعة - كنت أحسب أنه - كتب باللغة الأوردية، فزهدت فيه لأنني لا أتقن تلك اللغة وشغلت عن الإفادة منه بغيره من أمور الدراسة والتدريس وإكمال دراسة الدكتوراه، وما يتعلق بذلك من كتابة البحث، ثم اشتغلت بتحقيق كتاب "سبق الغايات في نسق الآيات" للشيخ أشرف علي التهانوي رحمه الله تعالى الملقب بحكيم الهند.

وبعد مدة من الزمن رجعت إلى كتاب "أنوار التبيان" أطلعه وأتأمل فيه بإمعان النظر، فشدني إليه وتاقت نفسي إلى خدمة هذا الكتاب

وتصحيحه وترتيبه وإخراجه، بطبعة أنيقة ليسهل الإفادة منه ويعم نفعه لما فيه من الفوائد واللطائف والنكات التفسيرية التي قلما تجدها في كتاب سواه.

فتهيأت للأمر وعزمت على الاشتغال بالكتاب راجياً من الله أن يوفقني للصواب، ورجعت إلى الشيخ الحافظ محمد إسحاق وسألته إن كان للكتاب طبعة أخرى غير الذي حصلت عليها، فأفاد بأن المصنف رحمه الله قد صحح هذه الطبعة وقد نجد النسخة المصححة عند ورثة الشيخ أو أحد تلامذته في منطقة "كجران واله".

وسافرنا معاً إلى المنطقة المذكورة لعلنا نظفر بالمراد، وبعد البحث والسؤال والاتصال ببعض تلامذة الشيخ رجعنا ولم نحصل على المطلوب، ولما يئست من الحصول على النسخة التي ذكر لي أن الشيخ صححها، وجدت أنه لا مجال لتصحيح الكتاب وخدمته على الوجه الذي ذكرت آنفاً إلا بالاعتماد على النسخة الموجودة بين يدي وليس بالإمكان أفضل مما كان، فשמرت عن ساعد الجد مستعيناً بالله العليم الحكيم ميسر الأمر العسير، وجابر العظم الكسير ومسهل الحزن، ومذلل الصعاب، وشرعت في تصحيح الكتاب، وذلك على النحو الآتي:

عملي في تصحيح الكتاب:

- ١- أعدت نسخ الكتاب وترتيبه، حيث كان المصنف وضع خلاصات السور في جزء مستقل، فجعلت خلاصة كل سورة في بدايتها.
- ٢- صححت الأخطاء الإملائية و النحوية دون الإشارة إليها في الهامش وذلك لكثرتها.
- ٣- وضعت علامات الترقيم كالنقطة والفاصلة وعلامة الاستفهام والتعجب وغيرها لتيسير الفهم والقراءة، وترتيب الفقرات، إذ كان الكتاب خلواً من ذلك تماماً.
- ٤- كتبت الآيات بالرسم العثماني باستخدام الحاسوب حيث هو مدون فيه، وبذلك يتم تلافي النقص والخطأ في كتابة الآيات.
- ٥- خرجت الأحاديث الواردة في الكتاب وأثبتتها بنصها إن كان المصنف قد ذكر الحديث بمعناه، أو ذكر جزءاً منه، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اقتصر على ذلك إذ هما تجاوزا القنطرة كما قال العلماء، وفيهما غنية، وإن كان الحديث ضعيفاً بينت ذلك.
- ٦- وضعت الزيادة على نص الكتاب بين معكفتين هكذا [].
- ٧- كتبت في الهامش بعض التعليقات المتعلقة بالوحدة الموضوعية للسورة أو فضلها أو أي فائدة أخرى كنت أرى ضرورة تدوينها وبيانها.

- ٨- كتبت ترجمة للمصنف وبينت منهجه في التفسير و أهم المصادر التي اعتمدها في تفسيره .
- ٩- ذكرت لمحة مختصرة عن المدارس الشرعية في باكستان وشبه القارة عموماً ودور العلماء في خدمة كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام وتصديهم للغزو الفكري والعسكري والهمجية التي عانت منها بلاد المسلمين شرقاً وغرباً، لكني اقتصرت في الكلام عن حال المشرق الإسلامي أعني شبه القارة الهندية وبشكل مختصر.

وهذا ولا يفوتني أن أذكر أنه سبق لي تحقيق الجزء الأول من الكتاب المتعلق بخلاصات السور مع بيان الربط بين الآيات وذلك في عام ١٤٢٠هـ الموافق ١٩٩٩م، عندما كنت أدرّس في جامعة إب. لإفادة الطلاب

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، اللهم فقهننا في الدين وعلمنا التأويل واجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء أحزاننا وذهاب همومنا، اللهم علمنا منه ما جهلنا وذكرنا منه ما نسينا وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، اللهم وفقنا لكل خير تحبه وترضاه، وباعد عنا كل شر تكرهه وتأباه.

اللهم يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام برحمتك أستغيث فاغفر لي ولوالدي كما ربياني صغيراً، ولمشائخي وأساتذتي الذين لم ييخلوا

عني بنصحهم وتوجيههم وعونهم طوال فترة طلبي العلم وهجرتي
واغترابي. اللهم اجعل لهم ذكراً حسناً ولسان صدق في الأولين
والآخرين واجعلهم من ورثة جنة النعيم مع الأبرار والنبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.
وصلى الله على محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين والتابعين
لهم بإحسان. والحمد لله رب العالمين. طأط

كتبه: د. حكمت بن أحمد الحريري

في صنعاء اليمن ١٧ صفر ١٤٣١هـ

الموافق: ٢٠١٠/٢/١م.

المبحث الأول

نبذة مختصرة عن دراسة العلوم الشرعية في باكستان وشبه القارة الهندية
حاز علماء شبه القارة الهندية قصب السبق في خدمة الحديث النبوي
الشريف والسنة المطهرة.

هذه شهادة عالم نحير هو العلامة المجدد الشيخ محمد رشيد رضا
رحمه الله تعالى ومن شهد له خزيمة فهي له شهادة، قال الشيخ رشيد:
"ولولا عناية إخواننا علماء الهند بعلوم الحديث في هذا العصر لقضي
عليه بالزوال من أمصار الشرق، فقد ضعفت في مصر والشام والعراق
والحجاز منذ القرن العاشر للهجرة حتى بلغت منتهى الضعف في أوائل
هذا القرن الرابع عشر" لمقدمة مفتاح كنوز السنة ، ص ق.]

بعد أن تعرض العالم الإسلامي في العصر الحديث للغزو الأوروبي
الفكري والعسكري، دخلت معظم بلاد الهند تحت سيطرة
الاستعمار الإنكليزي عقب إخفاق ثورة المسلمين فيها سنة ١٨٥٧م،
وعمل المستعمر بكل ما أوتي من مكر وخبث ودهاء على محاربة
المسلمين وإضعاف شوكتهم وتفريق الصف وتشتيت الكلمة وقلب
الموازين وتزييف الحقائق، وتسليط الفئات الأخرى على المسلمين.

ومهما يكن من أمر فالله تعالى يحكم لا معقب لحكمه، قال تعالى:
كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز)) ولله العزة ورسوله
وللمؤمنين)) يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره

الكافرون هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)).

إن العلماء الريانيين هم الهداة والدعاة إلى الحق وإلى صراط مستقيم وهم أمل الأمة وقادتها وأولياء أمورها في المهمات والملمات، والأمة التي يتولى أمرها هذا الصنف من الناس لا يؤول أمرها إلا إلى خير وعزة ونصر وتمكين، وإن كان لابد من الابتلاء والمحنة ولو إلى حين. والذين نقصدهم من العلماء الذين يخشون ربهم ولا يخشون أحداً من الناس الذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً، الذين يريدون وجه الله والدار الآخرة ولا تغرهم الحياة الدنيا، الذين أصلحوا عملهم ونياتهم وقصدوا بذلك وجه الله تعالى.

وأما الذين غرتهم الحياة الدنيا بزينتها وزخرفها وسعوا لنيل المناصب فيها ويتظاهرون أمام الناس بالتقوى ويحرصون على السمعة والرياء، فإنهم يفسدون ولا يصلحون وفسادهم عريض وشرهم مستطير نسأل الله العافية والسلامة في الدين والدنيا. قال تعالى: ((ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد)).

لقد قيض الله سبحانه وتعالى لنهضة الأمة الإسلامية في شبه القارة الإمام المجدد ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي المتوفي سنة

١١٧٦هـ (١) الذي قام بإحياء السنن الشرعية والعلوم الإسلامية وقمع البدع والمنكرات ثم خلفه ابنه عبد العزيز الدهلوي المتوفى ١٢٣٩هـ (٢) فسلك مسلك والده في العمل على إحياء الشريعة الإسلامية، وترى عليه الإمامان الشهيدان أحمد بن عرفان وإسماعيل الشهيد اللذان قاما بقيادة أكبر حركة جهادية عرفها تاريخ الهند واستشهدا ومن معهما في معركة "بالاكوت" سنة ١٢٤٣هـ.

ومن تلامذة تلاميذ الإمام الدهلوي كان العلامة محمد قاسم النانوتوي (٣) مؤسس دار العلوم بدبويند المدرسة الشهيرة في شبه القارة الهندية وقد تخرج منها آلاف مؤلفة من الدعاة والعلماء في مشرق الهند ومغربها.

(١) هو أحمد بن عبد الرحيم بن الشهيد وجيه الدين، المعروف بالشاه ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي، إمام مجدد، ولد يوم الأربعاء لأربعة خلت من شوال عام ١١١٤هـ/ ١٧٠٣ م، له مؤلفات في شتى العلوم، من أشهرها "حجة الله البالغة"، توفي في ١١٧٦هـ، انظر ترجمته في: الشاه ولي الله الدهلوي لمحمد بشير السياكوني.

(٢) هو عبدالعزيز بن ولي الله بن عبد الرحيم العمري الدهلوي، إمام محدث كآبيه، وُلد ليلة الخميس لخمس ليالٍ بقين من رمضان، ١١٥٩هـ، من أشهر مؤلفاته "التحفة الاثنا عشرية في الرد الشيعة"، توفي ١٢٣٩هـ، انظر ترجمته في "فهرس الفهارس" (٢/ ٨٧٤) لعبدالحى الكتاني، "نزهة الخواطر" (٧/ ٢٩٧) لعبدالحى الحسيني.

(٣) هو الشيخ محمد قاسم بن أسد علي الصديقي النانوتوي، الملقب بقاسم الخيرات، أحد العلماء المعروفين على مستوى الهند، ولد عام ١٢٤٨ هـ، له عدة مؤلفات منها "هداية الشيعة"، توفي عام ١٢٩٧هـ، انظر ترجمته في: (نزهة الخواطر ج٧، ص ٣٢٠-٣٢٢).

ومنهم الشيخ محمود الحسن الملقب بشيخ الهند الذي نفته بريطانيا إلى جزيرة مالطا، وكذلك كان من شيوخ دار العلوم ديوبند الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي (١) الذي وقّف حياته لنشر السنن وإماتة البدع. ومن مراكز العلم الشهيرة في شبه القارة الهندية دار العلوم ندوة العلماء والمنسوب إليها ندوي، ومن هؤلاء العلماء المشاهير الشيخ شبلي النعماني أحد مؤسسي ندوة العلماء صاحب التصنيفات الشهيرة منها كتاب سيرة النبي صلى الله عليه وسلم الذي ألفه في آخر حياته ولم يتمه فجاء من بعده تلميذه الشيخ سليمان الندوي فأتمه في سبعة مجلدات باللغة الأوردية، ومن تصانيف الشيخ شبلي النعماني الانتقاد على التمدن الإسلامي ألفه في الرد على طعون المستشرق النصراني جورجي زيدان وكان العلامة رشيد رضا سأل بعض علماء مصر أن يكتبوا في الرد على جورجي زيدان بل كان ينوي أن يكتب رداً عليه بنفسه فلما صدر كتاب شبلي أعجب به السيد رشيد رضا ونشره في مجلة المنار الشهيرة ثم طبعه في كتاب مستقل.

ومن العلماء الذين ذاع صيتهم ونالوا شهرة عظيمة في العالم الإسلامي من المنتسبين لندوة العلماء الشيخ سليمان الندوي والشيخ مسعود

(١) هو الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي ولد سنة ١٢٤٤هـ ببلدة كنكوه بمديرية سهارنפור بالهند، وتوفي ودفن بها سنة ١٣٢٣هـ، فقيه مجاهد، انظر ترجمته في: (نزهة الخواطر ج ٨: ص ١٦٣-١٦٦).

الندوي(١) والشيخ أبي الحسن الندوي(٢) ولهم المؤلفات النافعة الشهيرة

ومن منارات العلم والمراكز الشهيرة في خدمة دين الإسلام ونشر السنن النبوية وترسيخ العقائد الإسلامية والدعوة إلى التوحيد مدرسة أهل الحديث في بنارس الهند، بل المدرسة السلفية منتشرة في مختلف أصقاع شبه القارة الهندية.

وممن اشتهر من العلماء منهم الشيخ محمد عبد الرحمن المباركفوري(٣) صاحب كتاب تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي الذي يعدّ من أشهر شروح الترمذي، والشيخ شمس الحق العظيم آبادي(٤) مؤلف كتاب عون المعبود في شرح سنن أبي داود، والشيخ

(١) هو مسعود عالم الندوي (١٣٢٨ - ١٣٧٣هـ = ١٩١٠ - ١٩٥٤م) داعية مشهور، له عدة تأليف منها: "محمد بن عبد الوهاب الداعية المظلوم"، انظر ترجمته في: من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، المستشار عبدالله العقيل ص ٨٣-١٨٩.

(٢) هو علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الحسيني الندوي، (١٣٣٣ - ١٤٢٠هـ = ١٩١٤ - ١٩٩٩م) علامة وداعية مصلح، له مؤلفات كثيرة منها: "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين". انظر ترجمة موسعة له في: المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين (نسخة إلكترونية).

(٣) هو محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن بهادر المباركفوري، ولد سنة ألف ومائتين وثلاث وثمانين، بقرية مباركفور بالهند. ووافاه الأجل في شوال سنة ١٣٥٣هـ. إمام محدث حافظ، له عدة مؤلفات من أشهرها: "تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي". انظر ترجمته في مقدمة تحفة الأحوذى، تحقيق: محمد عبد الرحمن عثمان.

(٤) أبو الطيب محمد شمس الحق بن أمير علي بن مقصود علي الصديقي العظيم آبادي. ولد سنة ١٣١٩هـ وتوفي في ١٩ ربيع الأول سنة ١٣٢٩هـ، العلامة المحقق من كبار محدثي الهند الذين قادوا حركة السنة والسلفية، من أشهر مؤلفاته: "عون المعبود شرح سنن أبي داود". انظر ترجمته في: مقدمة غاية المقصود للشيخ محمد عزيز شمس.

عطاء الله حنيف(١) مؤلف التعليقات السلفية على سنن النسائي ومنهم الشيخ أبو الثناء الأمرتسري وكان يصدر مجلة إسلامية لنشر السنن النبوية والدعوة إلى التوحيد والرد على المبتدعة وأصحاب الأفكار المنحرفة والعقائد الضالة، وقد واجه فرقة القاديانية التي تأسست على أعين المستعمرين فكانوا شوكة في خاصرة المسلمين، فجاهدها وبين زيفها وبطلان دعوتها ونفاق دعائها، كل ذلك تولاه أبو الثناء الأمرتسري وإخوانه من العلماء، وقد دعا رأس القاديانية غلام أحمد القادياني الشيخ ثناء الله الأمرتسري دعاه إلى المباهلة فمات القادياني بعد سنة شرّ ميته وعاش الأمرتسري بعد تلك المباهلة أربعين سنة .

ومن العلماء الذين كان لهم دور بارز في الرد على الطاعنين في دين الإسلام وبيان شبه المنحرفين أبو الكلام آزاد الذي أنشأ مجلة الهلال باللغة الأوردية وكتب تفسيراً لسورة الفاتحة في مجلد كامل.

ومنهم العلامة محمد إقبال الشاعر الإسلامي المشهور وقد ترجمت أشعاره إلى عدة لغات لما لها في أثر في بيان محاسن الدين الإسلامي، ورد شبه الطاعنين والإزراء على المتخاذلين والمنافقين وعملاء المستعمر.

ومنهم العلامة أبو الأعلى المودودي أمير الجماعة الإسلامية في باكستان صاحب التأليفات الشهيرة في مختلف فنون الشريعة الإسلامية وأهمها تفسيره باللغة الأوردية (تفهم القرآن).

(١) وقد زرتة رحمه الله برفقة بعض الشيوخ الأفاضل قبيل وفاته بمدة قليلة في لاهور.

ومنهم العلامة أنور شاه الكشميري (١) من مشاهير شيوخ مدرسة دار العلوم ديويند مؤلف كتاب فيض الباري بشرح صحيح البخاري ومعارف السنن شرح سنن الترمذي وغيرها.

ولم يكن هدي في هذه العجالة استقصاء أسماء العلماء الذين اشتهروا وكان لهم دور حميد وثناء مجيد وفضل جسيم في خدمة دين الإسلام والدفاع عن حياضه باللسان والسنان، فإن الكلام عن تاريخ هؤلاء ومحاسنهم واستقصاء أسمائهم يحتاج إلى عشرات المجلدات ولكني ذكرت ما قدح في الذهن على عجل، وإلا فإن فيهم من لم أذكر أسمائهم من هو أكثر شهرة، فعليهم جميعاً رحمة الله تعالى وأسكنهم فسيح جناته وأعلى درجاتهم.

ولا يخفى على من له إلمام بتاريخ الشعوب أن الحديث عن العلماء في شبه القارة الهندية هو نفس الحديث عنهم في باكستان، لأن باكستان قطعة من بلاد الهند ونالت استقلالها سنة ١٩٤٧م لتكون دولة للمسلمين تطبق أحكام الشريعة الإسلامية ويأوي إليها

(١) هو الفقيه المجتهد محمد أنور بن معظم شاه، ولد بكشمير سنة ١٢٩٢هـ، وتوفي سنة ١٣٥٢هـ، إمام محدث، له جهود مباركة في الرد على القاديانية وغيرها، من أشهر مؤلفاته: "فيض الباري شرح صحيح البخاري". انظر ترجمته في: مشاهير علماء ديويند، القاري فيوض الرحمن، ص ٤٨٥.

المسلمون، ومعنى باكستان يتكون من كلمتين باللغة الأوردية هما: باك ومعناه الطاهر، وستان وتعني أرض أي أرض الطهارة. وإن دور العلماء والمدارس الدينية والجامعات الإسلامية في باكستان فإنه ظاهر واضح وضوح الشمس في رابعة النهار. المدارس والجامعات الدينية تعدّ بالآلاف يتخرج منها العلماء والدعاة وحفظ القرآن الكريم وأئمة المساجد، تبدأ هذه المراكز عامها حسب التاريخ الهجري من شهر شوال وتنتهي في منتصف شهر شعبان من كل عام، ثم يتفرغ الطلبة حفظ القرآن الكريم في شهر رمضان المبارك لإمامة الناس وصلاة التراويح وقيام الليل وتفسير القرآن الكريم.

وبعض العلماء يبدأ دورة تفسير القرآن من منتصف شعبان وينتهي من تفسيره كاملاً ضمن دروس وحلقات علمية مع نهاية شهر رمضان المبارك، لأنهم يتفرغون - اتباعاً للسنة - لخدمة القرآن وتدبره في الشهر المبارك شهر القرآن الكريم، يبدأ الشيخ دروسه من بعد صلاة الفجر وينتهي يومياً قبيل الإفطار لا يتوقف إلا للصلوات والأذكار، وإن بعض الجامعات الدينية في باكستان ينتسب إليها آلاف مؤلفة من الطلبة بل فيها يدرسون ويسكنون ضمن مساكن داخلية للجامعة. وإن الدول التي تحالفت على حرب الإسلام تحت ذريعة حرب الإرهاب وتجفيف منابعه ضغطت على الحكومة في باكستان فأغلقت مئات

المدارس الدينية ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وما يجدر ذكره في هذه المقدمة أن فترة الازدهار الديني والاقتصادي والاجتماعي لباكستان بلغت أوجها في عهد الرئيس ضياء الحق عليه رحمة الله، ففي عهده أنشئت الجامعة الإسلامية العالمية وأحضر إليها العلماء من الأزهر من مصر ليدرّسوا فيها، وانتسب إليها الطلبة من مختلف أصقاع العالم الإسلامي وكان الهدف من إنشائها تخريج الدعاة والقضاة والاقتصاديون الذين يعملون على تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في مختلف مناحي الحياة وكافة جهات الدولة وقد تآمر على قتله الرافضة بالتعاون مع الأمريكان حتى قتلوه مع ثلاثين من كبار ضباط الجيش الباكستاني رحمهم الله.

وفي عهد الحاكم ضياء الحق صنّف الشيخ شمس الدين بن شير محمد كتابه هذا (أنوار التبيان في أسرار القرآن) وقد عاصر المؤلف رحمه الله فترة حكم ضياء الحق، والذي حكم البلاد قبله ذو الفقار علي بوتو وقد كان رافضياً اشتراكياً طاغية جباراً سعى لنشر الفساد والإلحاد فسجن وقتل آلاف مؤلفة من الدعاة والعلماء من الصالحين والأتقياء وأطلق يد الأشقياء تعيث في الأرض الفساد وتهين العباد ولكن عاقبة الظلم وخيمة ولا يدوم بل أسرع شيء عقوبة، فحُكّم عليه بالإعدام في عهد ضياء الحق وحلّ على ذو الفقار غضب الله وسخطه ونزعت البركة من ذريته فذهبوا كلهم قتلى بنازير

ابنته، ومرتضى ابنه، وآخر لا أذكر اسمه قتل في فرنسا. فقطع دابر
القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين.
وقد أشار الشيخ شمس الدين في أثناء تفسيره لقول الله تعالى: الذين
كذبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها من سورة الأعراف إلى شيء مما
ذكرته آنفاً.
والحمد لله رب العالمين.

المبحث الثاني : ترجمة المصنف ١ من الميلاد إلى الوفاة

شيخ الحديث والتفسير العلامة القاضي شمس الدين بن الشيخ شير محمد.

ميلاده:

ولد في عام ١٩٠١م في قرية صغيرة بيتري، من مضافات كيمل فور (أتك) بلدة شهيرة في باكستان.

ابتدأه في طلب العلم:

قرأ الكتب الفارسية، الصرف والنحو في صغر سنه، ثم جاء إلى (ميان وال) من نواحي كجرات، تتلمذ على الشيخ غلام رسول رحمه الله الذي كان كالشمس في رابعة النهار في الصحاري والبحار، فقرأ عنده من النحو ألفية ابن مالك، وكتب المنطق المقررة من أولها إلى آخرها، وكتب الفقه كلها المقررة في المدارس الإسلامية، ومن الفلسفة المبدي ومختصر المعاني، ومشكاة المصابيح في الحديث النبوي الشريف، كما أنه قرأ من النحو عبد الغفور، ومن البلاغة "المطول" عند الشيخ ولي الله رحمه الله، نائب الشيخ غلام رسول.

(١) أفدت هذه الترجمة من الشيخ بدیع الزمان بخاري وهو أحد تلامذة المترجم له، والشيخ الحافظ محمد اسحاق رئيس جامعة العلوم الشرعية.

ثم ذهب إلى دار العلوم ديوبند فقرأ عند شيخ الأدب مولانا إعزاز علي رحمه الله كتب الأدب العربي، ثم رجع إلى أستاذه الأول غلام رسول رحمه الله، فقرأ بقية الكتب المقررة في العلوم الشرعية. فهمه وذكاؤه:

كان الشيخ شمس الدين سريع الفهم ذكياً بارعاً، فقد قرأ عند الأستاذ غلام رسول رحمه الله (قاضي مبارك) في المنطق، (والخيالي) في العلوم والعقائد في أربعين يوماً، وهما كتابان مشكلان عند العلماء وطلاب العلم. رحلته الثانية إلى دار العلوم ديوبند:

ثم رجع إلى دار العلوم ديوبند عام ١٩٢١م عند الشيخ الشهير والمحدث الكبير السيد محمد أنور شاه الكشميري قرأ عليه صحيح البخاري وجامع الترمذي وقرأ صحيح مسلم عند الشيخ شبير أحمد عثمانى رحمه الله (١).

وقرأ سنن أبي داود عند الشيخ أصغر حسين ديوبندي ثم رجع إلى وطنه، وأخذ علم التصوف والسلوك على الشيخ حسين علي رحمه الله، قرأ عنده (درر المعارف) وبعض حصص (المتنوي). وقرأ تفسير القرآن عند شيخه حسين علي رحمه الله مراراً. تتلمذه على الشيخ حسين علي:

(١) العلامة شبير أحمد العثماني أحد الخطباء المصاقع والأدباء المترسلين المرزبين باللغة الأردية، توفي رحمه الله في ٢١/ صفر ١٣٦٩هـ بمديرية هاول بولوا بباكستان ودفن بكراتشي.

سافر الشيخ شمس الدين بصحبة الشيخ غلام الله من راولبندي، والشيخ محمد طاهر البنجييري من مردان ليأخذوا العلم عن الشيخ حسين علي رحمه الله ، فاقترح عليهم أن يدرسهم تفسير القرآن ، وكانت رغبتهم متجهة نحو دراسة الحديث وغيره ، فقالوا: وماذا تدرّسنا في تفسير القرآن وقد درّسنا ودرّسنا تفسير الجلالين لأكثر من ثلاثين سنة؟ فقال: مادمتم كذلك ، أسألكم : ما وجه الإرتباط بين قوله تعالى:(ياأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام) فوقفوا حائرين ، قال: فما رأيكم بدراسة التفسير على هذه الطريقة ؟ فاستجابوا لذلك.

ثم قدر الله بعد ذلك أن يصنف كل من هؤلاء الثلاثة كتباً في التفسير، فنصف الشيخ شمس الدين كتاب (أنوار التبيان) باللغة العربية، ونصف الشيخ غلام الله كتاب (جواهر القرآن) في أربع مجلدات باللغة الأوردية وهو من التفاسير الشهيرة بالأوردية، ونصف الشيخ محمد طاهر كتاب (سمط الدرر) باللغة العربية .
فهمة وسعة اطلاعه:

ولما رجع من دار العلوم ديونبد عيّن مدرّساً في مدرسة إشاعة العلوم في مدينة فيصل آباد، فدّرس هناك سنة أو سنتين، ثم دعي إلى مكتبة خادم الشريعة، فدّرس فيها ثمانية عشر سنة.

ثم ذهب إلى دار العلوم ديونبد بإلحاح من الشيخ القارئ محمد طيب رحمه الله، فدّرس الكتب النهائية في المنطق وغيره، بعد وفاة مولانا

محمد إبراهيم رحمه الله، الذي كان يدرس الكتب النهائية في المنطق.

ثم رجع بعد قيام دولة باكستان وانفصالها عن الهند سنة ١٩٤٧م إلى وطنه فشرع التدريس في مدرسة أنوار العلوم (كجران واله) فدرس الحديث النبوي، وفي تلك المدة صنف كتباً كثيرة، فأخذ عنه من فيوض العلم، جم غفير من الطلاب والعلماء، وتلمذ لديه الأصاغر والأكابر فشكروا سعيه ورجعوا مادحين غير قادحين صادقين بحظ عظيم.

جهوده في الحديث و التفسير:

كان الشيخ رحمه الله يدرس الفنون والعلوم كلها، غير أن أكثر اشتغاله كان في الحديث النبوي الشريف، وتفسير القرآن الحكيم. فصنف رحمه الله تفسيراً للقرآن الكريم باللغة الأوردية وسمّاه "تيسير القرآن بتبصير الرحمن" في أربع مجلدات، ولم يوجد منه إلا مجلد واحد.

وفي آخر حياته رحمه الله حين مرض وضعف وترك الاشتغال بالتدريس صنف تفسيراً للقرآن باللغة العربية، على طريقة شيخه مولانا حسين علي رحمه الله، وهو كتابنا هذا الذي نحن بصدد التقديم له ، فكمل ذلك التفسير في مدة ستة أشهر ، ابتداءً في شهر جمادى الثاني عام ١٢٩٧هـ. وانتهى منه في شهر ذي الحجة من السنة نفسها ، وأسماه (أنوار التبيان في أسرار القرآن).

وأما مصنفاته في الحديث النبوي الشريف فهي:

- إلهام الباري في حل مشكلات البخاري باللغة العربية.
- كشف الودود في حل سنن أبي داود باللغة العربية.
- التعليق الفصيح في شرح مشكاة المصابيح باللغة العربية.
- إلهام الملهم في شرح صحيح مسلم في مجلدين على طريقة الإمام النووي.

قال الشيخ بديع الزمان بخاري -تلميذ الشيخ شمس الدين- :
وسمعت من الشيخ حين كنت مشغولاً في أخذ علم الحديث عنه، وقد
صنفت إلهام الباري في شهرين، وألفت كشف الودود في مدة ثمانية
أشهر.

تلامذته:

وأما تلامذته فتعدادهم كثير، وأكثرهم يوجد في الهند والسند
وأفغانستان وكشمير وإيران وباكستان ومنهم:

- العالم البار والمفتي المتورع مولانا عبد الواحد رحمه الله.
- شيخ الحديث والتفسير جامع المعقول والمنقول القاضي عصمت
الله.

- الخطيب المشهور في العرب والعجم عبد المجيد نديم.
- العالم المشهور والمبلغ المشكور المقبول عند الخواص والعوام
العلامة أحمد سعيد ملتان.

- سيد بديع الزمان بخاري أستاذ الحديث والتفسير في الجامعة الصديقية.
 - الشيخ حميد الله البدخشاني الأفغاني.
 - الشيخ جمال ناصر الأفغاني.
 - الشيخ الحافظ محمد إسحاق رئيس جامعة العلوم الشرعية ، وهو صهر الشيخ (ختته).
 - وقد سمعت منه تقريرين (محاضرتين) عن الأحاديث المشككة في صحيح البخاري قبل الإمتحان النهائي للشهادة العالمية سنة ١٤٠٤هـ .
 - ومن تلامذة تلاميذه: شيخ الحديث والتفسير مولانا محمد سر فراز صفدر.
 - والمحدث صوفي عبد الحميد سورتى.
 - والشيخ ميرزمان كشميرى.
 - شيخ الحديث مولانا عبد الرحمن.
 - سيد ضياء الله شاه بخاري بن أمير الشريعة سيد عناية الله شاه بخاري ، وغيرهم كثير.
- طريقته في تدريس الحديث:**

كان الشيخ يدرس جامع الترمذي تفصيلاً على طريقة شيخه محمد أنور شاه الكشميري رحمه الله، وصحيح البخاري إجمالاً: لكن كان يجيء بالعجائب والغرائب، وفي بعض المقامات كان ينتقد على شروح العيني والعسقلاني، ولكن كان يعظم شأنهما ولم يزلهما عن مقاميهما، يلاحظ ذلك من يطالع في كتبه (إلهام الباري وإلهام الملهم) فقد كان رحمه الله محققاً عظيماً مدققاً فخيماً قلما يوجد مثله.

وفاته:

توفي عليه رحمة الله في شهر رمضان من سنة ١٩٨٥م.

المبحث الثالث:

منهجه في التفسير.

يمكن أن نتعرف ونستوضح منهج القاضي شمس الدين في تفسيره من خلال المسائل التالية:

أ - الربط والتناسب

إن أهم ما يتميز به كتاب "أنوار التبيان في أسرار القرآن" هو عناية المصنف رحمه الله ببيان التناسب والربط بين الآيات والسور وذكر خلاصة لكل سورة مما يعين على بيان الوحدة الموضوعية والأهداف الأساسية فيها، وهذا النوع من التفسير يطلق عليه العلماء التفسير الموضوعي، وقد كتب عددٌ من العلماء قبل المصنف في هذا الفن، مثل الإمام الإمام برهان الدين البقاعي في "نظم الدرر"، وكذا السيوطي في "تناسق الدرر"، والشيخ محمد عبد الله دراز في كتابه "النبأ العظيم"، وغيرهم ممن كتب في تفسير بعض السور تفسيراً موضوعياً. وإن عدم الاهتمام بالنظم القرآني والوحدة الموضوعية في السورة لهو أكبر أسباب الولوج بكثرة التأويل وحصول الاختلاف ومجانبة الصواب في بيان المعنى أحياناً كثيرة.

وإن الذي يتلو السورة الواحدة من سور القرآن يجد أن آياتها تتشعب إلى الحديث عن فروع كثيرة وموضوعات شتى لكنها ترمي أخيراً وتوصل إلى غرض واحد ومقصد أساسي، يسميه بعض العلماء "عمود السورة" ففي السورة الواحدة تجد ذكراً للصلاة والزكاة والحج والصيام والحلال والحرام، والجنة والنار والخير والشر، والبيع والشراء،

والزواج والطلاق، والولاء والبراء، والشرك والتوحيد، والحرب والسلام إلى غير ذلك من مسائل الشرع المتعلقة بالأصول والفروع. فهل يعقل أن تكون موضوعات مشتتة ولا ينتظمها رابط يؤلف بينها؟! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، إن التشتت والاختلاف في كلام العقلاء وخطبهم لا يصح بل هو عيب من عيوب الكلام، فكيف بكلام أحكم الحاكمين الذي أنزل كتابه وأرسل رسوله رحمة للعالمين؟!.

إن الترابط والتناسب بين الأجزاء والآيات المختلفة هو أحد أسرار إعجاز القرآن العظيم الذي أنزله الله تعالى على رسوله الكريم في مدة تزيد على العشرين عاماً، وفي مناسبات مختلفة، ومع ذلك فلا تشعر فيها بالاختلاف، بل الكلام في غاية التوافق والاتئلاف، ولا يظهر ذلك إلا بعد التأمل والتدبر الصادق. فمن الربط الظاهر الذي تجده في هذا الكتاب ما يسمى ربط التضاد والتقابل، كآيات التي تتحدث عن الجنة والنار، والمؤمنين والكافرين ومصير هؤلاء وهؤلاء، والمقارنة بين الخير والشر والحق والباطل والطيب والخبيث وهكذا،

ونوع آخر من الربط والتناسب كالكلام عن الحج مرة ثم يتبعه بالكلام عن الجهاد، لما بين الحج والجهاد من وجوه التشابه والتلازم في أمور فني كليهما مفارقة للأوطان والبعد عن الأهل والأحبة

والإخوان وتجشم صعوبات السفر، وإنفاق المال وتعرض النفس للخطر.

وكذلك الآيات التي تتكلم عن الريا والزكاة، إذ الربط بينهما أن المرابي يعطي لينال الزيادة من الإنسان الفقير مثله، والمزكي يعطي لينال الزيادة من الله مالك خزائن السماوات والأرض وهو المعطي والمنع والخافض والرافع والمعز والمذل، لا أحد سواه سبحانه.

ومثال آخر لبيان الربط: في سورة الأحزاب الآية [٢٧] قوله تعالى ﴿وَأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطأوها وكان الله على كل شيء قديراً﴾، ثم تأتي بعدها الآيات التي تنهى نساء النبي ﷺ عن التعلق بالدنيا، وهي قوله تعالى ﴿يأيتها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحن سراحاً جميلاً﴾ [٢٨] وما بعدها ووجه الربط أنه بعد حصول الغنائم من بني قريظة طلبت نساء النبي أن يوسع عليهن في النفقة فنهاهن النبي ﷺ عن ذلك بل خيرهن بين الدنيا وزينتها أو البقاء معه وطلب الأجر من الله والسعي للدار الآخرة.

والأمثلة كثيرة جداً لهذا النوع من الربط والتناسب نجدها في هذا الكتاب القيم.

فالسياسة الرشيدة في دارة النسق القرآني تقضي بأن يحكم الباحث النظر في السورة كلها بإحصاء أجزائها وضبط مقاصدها على وجه يكون معاوناً له على السير في تفاصيلها، فالسورة مهما تعددت

قضاياها فهي كلام واحد يتعلق آخره بأوله وأوله بآخره ويتراعى بجملته إلى غرض واحد كما تتعلق الجمل بعضها ببعض في القضية الواحدة ١ .

ب- عنايته باللغة نحوها وصرفها

والأمر الآخر الذي يوليه المصنف عنايته واهتمامه في هذا التفسير بيان معاني الكلمات من خلال توضيح إعرابها وصرفها وهو في هذا على طريقة النسفي والبيضاوي والجلالين وما يشابهها ومن ذلك على سبيل المثال ما قاله:

- في تفسير قوله تعالى ﴿إِذْ يَرْيَكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ مفعولان ليرى، وقليلًا حال منهم.
- وفي قوله تعالى ﴿بِرَاءةٍ﴾ خبرا للمبتدأ المحذوف أي هذه براءة أو مبتدأ لتخصيصه بتعلق الجار به، نحو رغبته في الخير، خبره ﴿إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ﴾.
- ﴿مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ من للابتداء لاصله للبراءة.
- وفي تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ﴾ بالهمز المصدر نسأه إذا آخره وهو تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر.

(١) انظر النبأ العظيم، ص: ١٩٩، د. محمد عبد الله دراز.

- وفي تفسير قوله تعالى ﴿قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليالٍ سويًا﴾ سويًا: حال من ضمير تكلم، أي حال كونك سوي الأعضاء سليم اللسان، لا تطيق أن تتكلم.
- وفي تفسير قوله تعالى ﴿حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها﴾ قال: لأنها جنة تفتح أبوابها حين يجيء محمد ﷺ ويدق، ثم لا تغلق لأنها جنة لا محبس، وهذا وجه زيادة الواو ههنا، ليصير المعنى: حتى إذا جاءوها وجدوا أبوابها مفتوحة قبل مجيئهم.
- وفي تفسير قوله تعالى ﴿له مقاليد السماوات والأرض﴾ [الزمر]، أي مفاتيح خزائن السماوات والأرض، واحدها مقلاد مثل مفتاح.
- وفي قوله تعالى ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين﴾ اللام توطئة للقسم ولفظ قد للتحقيق، وصيغة الماضي لدلالة على التحقيق والوقوع.
- وفي قوله تعالى ﴿قوماً بوراً﴾ هلكى، جمع بائر كعائذ وعوذ.
- وفي تفسر قوله تعالى ﴿أرسل الرياح بشراً﴾ تخفيف بشر جمع بشور بمعنى مبشر.
- وفي قوله تعالى ﴿واختار موسى قومه﴾ منصوب على نزع الخافض أي من قومه.
- وفي قوله تعالى ﴿أو متحيزاً إلى فئة﴾ ووزن متحيز متفيعل لا متفعل وإلا لكان متحوزاً لأنه من حاز يحوز.

- وفي قوله تعالى ﴿طيراً أبابيل﴾ جماعات جمع أباله وهي الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها، وقيل لا واحد لها كعباديد وشماطيط.

ج- مجادلته للرافضة ودفاعه عن الصحابة وأمّهات المؤمنين:

يرد المصنف رحمه الله تعالى على مطاعن الرافضة على الصحابة وأمّهات المؤمنين كلما وجد إلى ذلك سبيلاً، في الآيات التي تقتضي بيان علو مكانة الصحابة أو تتوّه بشأنهم رضي الله عنهم.

- ففي قوله تعالى ﴿رواذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال﴾ قال: من بيت عائشة رضي الله عنها فهي أهل له ﷺ حقاً رغم أنف الشيعة.

- وفي قوله تعالى ﴿ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة﴾ والآية نزلت بشأن أبي بكر عندما حلف ألا ينفق على مسطح قريبه، قال المصنف: وقد سمعت أن الله تعالى سمّاه من أولي الفضل، فله الفضل بفضل الله على غم أنف الروافض.

- وفي قوله تعالى ﴿لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون﴾ قال: دل على أشياء ... الرابع: إن جنود سليمان لما بلغت في التهذيب بهذه المثابة أي إلى أنها لا تضع القدم على النملة عمداً، فهل يجوز

لعاقل أن يقول إن أصحاب محمد ﷺ بغوا على ابنته فاطمة رضي الله عنها وغضبوا منها سهمها من تركة النبي ﷺ في بستان فدك وغيره!!.

- وفي قوله تعالى ﴿ليذهب عنكم الرجس أهل البيت﴾ قال: أي يا أهل البيت، وهم نساء النبي ﷺ، وفاطمة وعلي وابناهما وإن دخلوا في هذا الحكم بحديث الرداء، ولكن لا يلزم منه خروج النساء، كيف والسياق بتمامه فيهن، فإدخالهم وإخراجهن كما فعل الشيعة يصدق عليه المثل السائر "حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء".

- وفي قوله تعالى ﴿قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد﴾ قال: هم بنو حنيفة وأهل اليمامة أصحاب مسيلمة الكذاب دعاهم أبو بكر رضي الله عنه إلى قتالهم، وفارس والروم دعاهم إلى قتالهم عمر، وفيه دليل على صحة خلافتها، لأن الله تعالى وعد على طاعتها الجنة وعلى مخالفتها النار، وهذا إنما يتصور إذا كانت خلافتها حقة.

- وفي قوله تعالى ﴿فأنزل سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى﴾ قال: على رغم أنف الروافض ﴿وكانوا أحق بها وأهلها﴾ فليسمع الشيعة ﴿وكان الله بكل شيء عليماً﴾ فكان يعلم أنهم أحق بها وأهلها، فليسمع الشيعة مرة أخرى.

د- بيانه للأحكام الشرعية

عندما يذكر المصنف تفسير آية تتعلق بالأحكام الشرعية يذكر الحكم غالباً بإيجاز ويقارن بمذهب الشافعية، مرجحاً مذهبه المذهب الحنفي.

- فعند تفسيره لقول الله تعالى ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ يقول: وهو عند الشافعي ما يجري على لسانه بغير قصد للحلف، نحو لا والله وبلى والله، وعندنا هو ما يحلف على ما مضى ظناً منه أنه كذا وليس هو كذا.

- وعند تفسير قوله تعالى ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ يقول: عندنا معشر الحنيفة وهو المروي من فعل رسول الله ﷺ.

- وفي قول الله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ قال: قرب استيلاء قول الحنيفة، وقال الشافعي: يمتنعون من المسجد الحرام دون غيره، وقال مالك: يمتنعون منه ومن غيره.

- وفي تفسير قوله تعالى ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ﴾ قال: واعلم أن مذهبنا معشر الحنيفة أن وضع الحدود ليس للكفارة بل هو للزجر والتوبيخ، وإخلاء العالم عن الفساد.

- وفي تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ في سورة النساء. قال: والمدار على السفر فقط لحديث النبي ﷺ: "صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا

صدقته" والتصدق بما لا يحتمل التملك إسقاط محض لا يحتمل الرد فوجب القصر ولم يجزم الإتمام وهو مذهب مشائخنا الحنيفة زادهم الله شرفاً.

هـ موقفه من الإسرائيليات

ليس للشيخ رحمه الله تعالى موقف واضح من الإسرائيليات، فنجده أحياناً يردّها ويرفضها، وأحياناً يمررها ويقبلها، وذلك لاعتماده على تفسير الخازن، وهو مشحون بالإسرائيليات والقصاص التي ليس لها أسانيد ثابتة، فمن ذلك:

- في تفسير قوله تعالى ﴿وما آمن معه إلا قليل﴾ وقوله تعالى ﴿وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن﴾ يقول: هم ثمانون أو ثلاثة وثمانون.

مع أن هذا القول في بيان عددهم ليس له دليل صحيح ولا مستند سليم.

- وفي تفسير قوله تعالى ﴿فخذ أربعة من الطير﴾ يقول: طاوساً وديكاً وغراباً وحمامة، وكذا ليس هناك دليل صحيح ولا مستند سليم لهذا القول.

- وفي تفسير قوله تعالى ﴿وكان وراءهم ملك﴾ في سورة الكهف تراه يذكر اسم الملك، فقال: وكان اسمه الجلندي الأزدي، وكان كافراً، وقيل اسمه هدد بن مدد.

- وفي تفسير قوله تعالى ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾ يقول: وكانت وعلة تختلف إليه فيشرب من لبنها بكرة وعشية حتى اشتد بدنه ونبت شعره.

فهو في كل هذه التفسيرات إنما كان اعتماده في ذكرها على تفسير الخازن، ومعروف لدى العلماء بأن تفسير الخازن مشحون بالموضوعات والقصص والإسرائيليات.

- وفي تفسير قوله تعالى ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسُوْرُوا الْمِحْرَابِ﴾ قال: إذ حكم بمجرد سماع الدعوى من المدعي، ولم يسأله البينة والشهود ولم يحلف المدعي عليه فحكم بلا حجة، هذا ودع ما ههنا من القصة المشهورة فإنها مخترعة، يقصد بها الرواية الإسرائيلية التي تذكر بأن داود أراد أن يتخلص من أحد قادة جيشه ويتزوج بزوجته.

و-منهجه في آيات الصفات

المصنف في مسائل العقيدة يسلك منهج الماتريدية، ففي آيات الاستواء والعلو والفوقية لله تعالى، يعمد إلى تأويلها فالاستواء يؤله بالاستيلاء، وفي قوله تعالى ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الحديد] يقول: فله الأمر. وفي قوله تعالى ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ في سورة الفرقان، قال: ثم تسلط بنفسه على الحكومة ولم يفوضها إلى أحد من عباده.

وفي قوله تعالى: ﴿ثم استوى على العرش﴾ في سورة الرعد، يقول: استولى بالاعتدال ونفوذ السلطان.
 وفي قوله تعالى: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ في سورة النحل، يقول: فوقية الملك على المملوك والحاكم على المحكوم.
 وفي قوله تعالى: ﴿أأمنتم من في السماء﴾ في سورة الملك، يقول: من أمره وحكمه وسلطانه في السماء.

وأما مسألة الرؤية أي رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة فهو يثبتها.
 وفي تفسير قوله تعالى: ((سوف أستغفر لكم ربي)) يقول: أحرّ الاستغفار إلى وقت السحر لأنه وقت إجابة الدعاء إذ ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا، ثم ذكر حديث نزول الرب سبحانه وتعالى ولم يذكر له تأويلاً ولا تفويضاً.

ز- استعماله للمصطلحات المنطقية

يذكر المصنف في بعض المواضع من تفسيره شيئاً من مصطلحات علم المنطق، مثل الإيجاب الكلي، والإيجاب السلبي. والسلب الكلي والسلب الإيجابي.

وبيانها بشيء من الإختصار، كالاتي:

الكل ما تركيب من جزأين فأكثر. والكلية هي الحكم على كل فرد من أفراد الموضوع والفرق بينهما: هو أن الكل لا يتبع الحكم فيه كل فرد من أفرادها بل يكون الحكم على الكل بالمحمول على مجموعة، مثل قوله تعالى: ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾

فالحكم على الثمانية بحمل العرش إنما هو على مجموعها لا على كل واحد منها.

وأما الكلية فيتبع الحكم فيها كل فرد من أفرادها مثل: كل إنسان حيوان أي كل فرد من أفراد الإنسان محكوم عليه بالحيوانية. والجزء: ما تركيب منه ومن غيره كل، مثل: الجذع والأغصان للشجرة.

والجزئية: هي الحكم بالمحمول على بعض أفراد الموضوع إيجاباً أو سلباً، مثل: بعض الحيوان إنسان وبعض الحيوان ليس بإنسان. والكلي والكل والفرق بينهما: بأن الكلي يجوز حمله على أفرادهِ وجزئياته حمل مواطأه، ويجوز تقسيمه أيضاً بأداة التقسيم كالحيوان مثلاً: يصح أن يقال: الإنسان حيوان والفرس حيوان، ويقال: الحيوان إما إنسان وإما فرس أو غيرهما.

وأما الكل: فلا يجوز حمله على أجزاءه حمل مواطأة ولا يجوز تقسيمه إليها بأداة التقسيم، مثل: الشجر فلا يصح أن يقال: الجذع شجرة، أو الأغصان شجرة، ولا يقال الشجرة إما جذع وإما أغصان، وإنما يقال: الشجرة ذات جذع وذات أغصان، بحمل الاشتقاق.

معنى الحمل والحملية باعتبار الموضوع:

الحمل اصطلاحاً: اتحاد المتغايرين مفهوماً بحسب الوجود مثل: زيد كاتب، فمفهوم زيد مغاير لمفهوم كاتب ولكنهما شيء واحد في الوجود.

والحمل نوعان:

١- حمل بالمواطأة: وهو ما كان بلا واسطة: مثل: زيد

كاتب.

٢- حمل بالاشتقاق: وهو ما كان بواسطة: في أو اللام أو

ذو، مثاله: خالد في المسجد، القلم لزيد، أحمد ذو مال.

والحملية باعتبار موضوعها تنقسم إلى أربعة أقسام:

- الطبيعية: ما كان الحكم فيها على طبيعة الموضوع دون

أفراده، مثل الإنسان نوع والحيوان جنس.

- الشخصية: يقال لها المخصوصة، ما كان الحكم فيها على

مفرد معين، مثل: زيد كاتب.

- المهملة: ما كان الحكم فيها على الأفراد مع إهمال كمية

الأفراد، مثل: إن الإنسان لفي خسر.

- المحصورة أو المسورة: ما كان الحكم فيها على الأفراد مع

بيننا كمية الأفراد، كلاً أو بعضاً، مثل: كل إنسان حيوان، وبعض

الحيوان إنسان.

والقضايا أربع:

١- الموجبة الكلية: مثل : كل إنسان حيوان، وسورها: كل وجميع ولام الاستغراق، وكل الألفاظ الدالة على الإحاطة بجميع الأفراد في الإيجاب.

٢- الموجبة الجزئية: مثل بعض الحيوان فرس وسورها: بعض وأحد ونحوهما مما يدل على الإحاطة ببعض الأفراد في الإيجاب.

٣- السالبة الكلية: مثل: لا شيء من الإنسان بحجر وسورها: لاشيء ولا واحد ونحوهما، مما يدل على الإحاطة بجميع الأفراد في السلب.

٤- السالبة الجزئية: مثل: بعض الحيوان ليس بإنسان، وسورها: ليس بعض وبعض ليس، وليس كل. ونحوها، مما يدل على الإحاطة ببعض الأفراد في السلب.

ح- أهم المصادر والمراجع التي استقى منها اجمالاً:

- كتب الحديث كالبخاري ومسلم والترمذي وبقية الكتب الستة وغيرها.

- التفاسير وأهم مراجعه تفسير النسفي، والخازن، والرازي وابن

كثير.

- كتب اللغة والنحو والصرف والفقه وأصوله والمنطق وغيرها مما ذكرناه في ترجمته لأنها المشتهرة والرائجة في المدارس والجامعات التابعة لدار العلوم ديوبند.

قائمة المراجع

- النبأ العظيم. د. محمد عبد الله دراز. دار طيبة - الرياض.
- تفسير الخازن. طبعة دار الفكر - بيروت ١٩٧٩م.
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير. دار إحياء التراث العربي - بيروت/لبنان.
- تفسير النسفي (المدارك) دار النفائس - بيروت ٢٠٠٥م. تحقيق الشيخ: محمد مروان الشعار.
- من هدي سورة الأنفال. د. محمد أمين المصري. دار الأرقم - الكويت.
- التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي الكلبي. ط/ دار الكتب العلمية - بيروت.
- تفسير الجلالين. ط/ دار الحديث - القاهرة.
- التفسير الكبير لفخر الدين الرازي. طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.
- سنن ابن ماجه. بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع. الرياض.
- أسباب الخطأ في التفسير. د. طاهر محمود يعقوب. ط/ دار ابن الجوزي - السعودية.

- ضعيف الجامع الصغير للألباني.
- الجامع لأحكام القرآن القرطبي. ط/ دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. الآلوسي. ط/ دار الكتب العلمية.
- نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق. محمد ناصر الدين الألباني. ط/ المكتب الإسلامي.
- دراسات في السيرة للشيخ محمد سرور زين العابدين. ط/ دار الأرقم - برمنجهام.
- الإسرائيليات في التفسير والحديث للدكتور محمد حسين الذهبي
- تفسير البيضاوي
- صحيح البخاري. بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع. الرياض.
- صحيح مسلم. بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع. الرياض.
- سنن الترمذي. بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع. الرياض.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل. بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع. الرياض.
- صحيح مسلم بشرح الإمام النووي. دار الخير. بيروت.

- روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن محمد بن علي الصابوني.
- الرد على الزنادقة للإمام أحمد. تحقيق قصيبي محب الدين الخطيب. ط/ الدار السلفية.
- زبدة التفسير. د. محمد سليمان عبد الله الأشقر. دار النفائس للنشر والتوزيع - الأردن.
- مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات. تأليف د. أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي.
- أعلام السنة المنشورة باعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، الشيخ حافظ الحكمي.
- إلهام الباري شرح صحيح البخاري. للقاضي: شمس الدين بن شير محمد.
- شبلي النعماني علامة الهند الأديب والمؤرخ الناقد الأريب. تأليف الأستاذ: محمد أكرم الندوي. طبعة دار القلم - دمشق.
- تحفة الأحوزي شرح جامع الترمذي. عبد الرحمن المباركفوري. دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان.
- عون المعبود شرح سنن أبي داود. دار إحياء التراث العربي. بيروت/ لبنان.

- تسهيل المنطق. د.عبد الكريم بن مراد الأثري. دار مصر للطباعة.
- إعجاز القرآن العظيم. د.حكمت أحمد الحريري. مركز عبادي للدراسات والنشر- اليمن.
- جامع البيان في تأويل القرآن. محمد بن جرير الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر. ط/ مؤسسة الرسالة.
- معارج القبول. حافظ الحكمي. ط/ دار ابن الجوزي.
- أضواء البيان. محمد الأمين الشنقيطي. ط/ دار الكتب العلمية.
- جامع بيان العلم لأبي عمر بن عبد البر. ط/ دار ابن الجوزي.
- روائع البيان تفسير آيات الأحكام. محمد علي الصابوني. ط/ دار السلام.
- الروضة الندية شرح الدرر البهية. أبو الطيب محمد صديق خان البخاري. ط/ دار المعرفة.
- تلخيص الحموية للشيخ محمد صالح العثيمين. دار ابن الجوزي.
- المعجم الوسيط. إبراهيم مصطفى وآخرين. ط/ دار الدعوة.
- ألفية ابن مالك.
- مفتاح كنوز السنة ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي. ط/ دار الكتب العلمية.

- شرح العقيدة الطحاوية. لابن أبي العز الحنفي. ط/ المكتب الإسلامي - بيروت.
- اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- بدائع التفسير. ابن القيم الجوزية. ط/ دار ابن الجوزي.
- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان. المطبوع ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.